وقفوهم... إنهم مسؤولون!

د. حسن بن فهد الهويمل

الحياة محطات مفرحة أو مترحة، والناس معها إما مُعْتَبِرٌ متأمل يزن الأمور ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب، أو غافلٌ نَسَّاء يرى كل شيء من سنن الحياة ومعطيات الطبيعية، وهذا الصنف ممن عنوا بقوله تعالى: (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)، و:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيي دينا

والمناسبات السعيدة حين تمر بالمرء تحمله على مراجعة النفس، ومساءلتها عما واجهت به هذه المناسبة، إذ ربما يكون العطاء استدراجاً، والإملاء مراقبة للكيد العظيم.

ونحن في بلادنا نخرج من مناسبة سعيدة إلى مناسبة أسعد، والناس من حولنا تتخطفهم الفتن وتجتالهم الكوارث، وليس من المناسب والحالة تلك أن نكتفي بتمجيد من أجرى الله هذا الخير على يديه، وإن كان من الفضل معرفة الفضل لذويه، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، ولكن الأهم أن ننظر في شأننا كله، فالنعم كشوارد الإبل، إن لم تقيد بالشكر فرت.

وليس بيننا وبين الله عهد ولا نسب، ولقد وجه القرآن الكريم إلى محققات الزيادة بقوله تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم)، وقال لآل داود وقد أنعم الله عليهم: (اعملوا آل داود شكرا)، وخوف بقوله: (وقليل من عبادي الشكور)، فهل نحن بما نأتي ونذر من هذا القليل؟ لم يكن بودي في مناسبة سعيدة أن أتشح برداء الوعظ والإرشاد، وإن كانت خيرية هذه الأمة مرتبطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن الحرص على ثبات هذا الوضع، الذي حرم منه خلق كثير أمر في الأوطان ورخاء واستقرار وأخذ بوسائل الحياة الكريمة وتوفير لكل متطلبات الحياة المدنية المعاصرة من دون المساس بالثوابت الدينية، تحكيم للشريعة وقوة بلا عنف ولين من دون ضعف واستكمال لحاجات الأمة في الطب والتعليم والرفاهية، وذكرى اليوم الوطني إن لم تذكرنا بما يجب علينا فوتنا ما يجب لنا، ومن عادات الشعوب أنها في مناسباتها تضخم حقها وتقعر الرؤية فيه، وتصرف نظرها عما يجب عليها، والحياة السوية لا يمكن أن تأخذ وضعها الطبيعي إلا بالتعادلية، فبقدر ما تطالب بحقك من السلطة التنفيذية، فيجب أن تعرف واجباتك إزاءها وإزاء آخرتك.

وتذكر اليوم الوطني يستدعي رجالات قضوا نحبهم، وفي مقدمتهم المؤسس الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه، الذي خاض بحكمة وأناة معركتي التكوين والبناء، وكان موفقا في كليهما، وحين لحق بالرفيق الأعلى سلم الراية لأبنائه الذين ترسموا خطاه، ومن حق المؤسس ورجاله أن نفي بالعهد والوعد، وأن نكون خير خلف لخير سلف، لا نفرط بهذا الكيان ولا نزايد عليه، وأن نحرص كل الحرص على وحدته الإقليمية والفكرية، ولا سيما أن العالم كله يمر باضطرابات وتجتاله لعب سياسية توضع في الفتنة، والطائفيات والعرقيات والإقليميات هي الوقود لهذه اللعب القذرة، وواجبنا أن نعي كل شيء، وألا ندع الثغور الإقليمية والفكرية مكشوفة للمتربصين، الذين يحسدوننا على ما أفاء الله به علينا (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله).

إن فضل الله الذي وهبنا الله إياه من غير قوة منا يثير فضول الأشرار.

وما لم نكن في مستوى مسؤولياتنا، أفسدوا علينا ديننا ودنيانا.

إن اليوم الوطني مناسبة سعيدة لمراجعة النفس وترتيب الأوراق وإصلاح البيت السعودي، ورفع الشكر والتقدير والمحبة لقادتنا وولاة أمورنا، وذكرى اليوم الوطني تمر بنا هذا العام ونحن ننعم بانتصارات أمنية، وعلى موعد مع تدشين منجزات حضارية يقودها رجل المبادرات خادم الحرمين الشريفين، فنجاة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف من غدر الغادرين تعد انتصارا أمنيا يضاف إلى انتصارات متلاحقة، ضيقت الخناق على الخلايا النائمة العاجزة عن التململ في جحورها، وافتتاح جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية إضافة حضارية، وإنشاء أربع جامعات في أنحاء المملكة، إضافة لجامعات سلفت أسهمت في صناعة الإنسان السعودي والتخطي به إلى مدارج الحضارة والتقدم.

إنها مناسبة للمحاسبة والتذكر وتجديد العهد وشحذ الهمم لتحقيق تطلعات ولاة الأمر، حفظهم الله وسدد خطاهم.

رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية